وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت / كلية التربية للبنات
قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية
الدراسات الاولية / بكالوريوس

المحاضرة الثالثة: في اهمية التفسير

المرحلة : الثانية

مدرس المادة:

م. سبأ علي مزهر

الايميل الجامعي:**sMizher@tu.edu.iq**

في اهمية التفسير ومكانة علم التفسير والفائدة من دراسته

لقد خاطب الله تعالى خلقه بما يفهمونه، فأرسل كل رسول بلسان قومه، وأنزل كتبه على لغاتهم:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ إبراهيم: ٤، وأنزل القرآن بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب، فكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، ولم يحتاجوا إلى أن يسألوا عنها رسول الله ، أما دقائق باطنه فإنما كانت تظهر لهم بعد البحث والنظر، مع سؤالهم النبي عن الكثير منها، كسؤالهم لما نزل قوله:

: الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ الأنعام:٨٢، فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟، ففسره النبي الظلم بالشرك، وتلا قوله تعالى:

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ لقمان:١٣. وكسؤال عائشة رضي الله عنها عن الحساب اليسير فقال: » ذلك العرض، ومن نوقش الحساب عذب«. وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والخيط الأسود، وغير ذلك مما سألوا عنه.

ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظاهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد احتياجا إلى التفسير. وقد أمرنا سبحانه بتدبر كتابه، وتبيين معانيه، وفهم مراداته فيه، فقال تعالى:

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ ص:٢٩، وجه الدلالة: أن الله تعالى بين أن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك أن يتدبر الناس آياته، ويتعظوا بها، والتدبر: التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها، فإذا لم يكن كذلك فاتت الحكمة من إنزال القرآن، وصار مجرد ألفاظ لا فائدة منها، ولا تأثير لها. وقال تعالى:

أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا محمد:٢٤، وجه الدلالة: أن الله تعالى وبخ أولئك الذين لا يتدبرون القرآن، ووصف ذلك بأنه من الإقفال على القلوب، وعدم وصول الخير إليها.

والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم، فيجت على أهل العلم أن يبينوه للناس بكل طريق يستطيعونه.

فقوله تعالى:

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ آل عمران:١٨٧، وتبيين الكتاب للناس شامل لتبيين ألفاظه ومعانيه، فيكون تبيين القرآن مما أخذ الله العهد على أهل العلم ببيانه.

ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه، ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول في تفسيره عليه، ويرجع في تفسيره إليه، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها، وسياقه، وظاهره وباطنه، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم، ويدق على الفهم، وفي هذا تتفاوت الأذهان، وتتعدد الأفهام.

ثم إن الرسول لم يفسر القرآن كله لغةً وأحكاماً، وإن كان فلم ينقل إلينا مثل ذلك، ولم ينقل إلينا عن أصحابه تفسير القرآن كله.

وقد ضعفت الملكة اللغوية عند الناس، واستجدت الحاجات أوسع مما كانت عليه، ومقتضيات العصور وأحوالها مختلفة، مما يزيد حاجتنا إلى التفسير، ويظهر أهميته في متابعة التطور والرقي الفكري والاجتماعي، واستبيان وجوه هدايته، وتحقيق مقاصده في النفس والمجتمع، تلبية لحاجة الأمة، وربط حركة تطورها بقانون القرآن.

يقول القاضي شمس الدين الخُوَيِّيّ: »علم التفسير عسير يسير، أما عسره فظاهر من وجوه، أظهرها: أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه، ولا إمكان للوصول إليه، بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها، فإن الإنسان يمكن علمه منه إذا تكلم، بأن يسمع منه أو ممن سمع منه.

وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع من الرسول ، وذلك متعذر إلا في آيات قلائل، فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه، فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جمع آياته«.

فكتاب الله تعالى لانهاية لمعانيه، ولا حد لأسراره، ومن هنا جاء قول ابن مسعود رضي الله عنه: »من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين« قال البيهقي في المدخل: أراد به أصول العلم. وإنما يفهم منه كلٌ بمقدار ما يفتح الله عليه، وبحسب استعداده للفهم، وموقعه من العلم.

وقد أصاب من قال في حق علم التفسير: » العلوم ثلاثة: علم نضج وما احترق؛ وهو علم الأصول والنحو، وعلم لا نضج ولا احترق؛ وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق؛ وهو علم الفقه والحديث« لكن الحكم الأخير فيه نظر.

ولقد ازدادت الحاجة الى التفسير عصرا بعد عصر؛ نظرا لضعف الملكة العربية بسبب اختلاط العرب بغيرهم وشيوع اللحن الذي افسد الفصاحة والبلاغة بين صفوف المثقفين.